

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي (التقديم والتأخير نموذجا)

أ: فاتح مرزوق

ج/ مولود معمر، تيزي-وزو

ملخص البحث: شهد الدرس اللغوي كثيرا من التطورات، وبخاصة ما تعلق بعلوم اللسان الحديثة؛ وذلك للتعلق القائم بينها من منطلقات تأسيسية، ومن العلوم التي اقتحمت الدرس اللساني اللسانيات التداولية وهذا العلم الذي أرسى قواعده في البحث اللغوي في كل العلوم ومن العلوم التي تعلق بها علم البلاغة؛ حيث إنه ينطوي تحت علم جليل وهو علم المعاني، ومن المباحث الذي ارتكز عليها مبحث التقديم والتأخير؛ حيث طبقت فيه آليات التحليل التداولي بشكل مسهب؛ كونه بابا عظيما يكشف لك عن قناع المعنى الخفي والتداولية منطلقها نفسه؛ إذ تسعى لإيجاد التفاعل التخاطبي بين المتكلم والسامع.

من هذا المنطلق نرم الإجابة على الإشكالية الآتية: ما منطلق دراسة المنهج التداولي لآلية التقديم والتأخير؟ وهل ثمة من علاقة وشيجة بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي لآلية التقديم والتأخير؟

Summary:

The linguistic lesson witnessed many developments, especially those related to modern linguistics, because of the existing relationship between them from the foundations of the foundations, and the sciences that broke into the linguistic lesson of linguistics deliberative, and this science, which laid the rules in the linguistic research in all sciences and sciences attached to the flag It is a great door that reveals to you the mask of hidden and deliberative meaning from its own point of view. It seeks to find the interaction between the two senses, My interlocutor between the speaker and the sage.

From this point of view, we answer the following problem: What is the study of the deliberative method of the mechanism of submission and delay? Is there a relationship between the rhetorical lesson and the deliberative analysis of the mechanism of submission and delay?

كلمات مفاتيح: التداولية، التقديم والتأخير، الدرس البلاغي، القصدية، الغرض.

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق

مقدمة: شهد الدرس اللغوي الحديث كثيرا من التطورات؛ وذلك لمواكبة الحضارة في شتى الدراسات اللغوية العربية منها والغربية؛ فامتدت الدراسة اللغوية القديمة مع الركب الحضاري اللغوي الحديث، وإن المتمعن في الدرس العربي الحديث ليجد بعض شذراته ولمحاته في التراث العربي القديم الموثق في كتب القدماء نحوها وبلاغتها؛ لذا فقد عمل المشتغلون بالدرس اللغوي الحديث على أن يستوردوا من مورد الدرس القديم، في شتى مباحثه؛ ومن المباحث التي اشتدت دراستها في العصر الزاهن الدرس البلاغي من مختلف نواحيه وجوانبه من علم المعاني والبدیع والبيان، والتي كلفها تسعى إلى تحسين حلقة الحوار، والتخاطب بين المتلقي والمرسل، أضف أنها تنشئ التفاعل بين المتخاطبين مراعاة إلى مقام وسياقات يحويها الحوار أو التخاطب بين طرفين أو الجماعة الكلامية، ولعل العلم الذي سعى إلى تحقيق هذه الوظيفة اللغوية هي التداولية، هذا العلم الذي دارت عليه رحي الدراسات في العصر الحديث؛ والذي ربما هو بذور وإشارات من الدرس البلاغي القديم؛ الذي سلط جلّ دراسته على المخاطب، وكيفية التخاطب والوسائل التي يتم من خلالها التواصل وإقناع المتلقي.

ومن الأبواب التي حوّاها علم المعاني باب التقديم والتأخير، هذا الباب العظيم، والمسلك الجليل الذي لقي عناية من لدن العلماء النحويين من خلال التركيب، والبلاغيين من حيث المعنى والغرض الذي يؤديه وبخاصة عند جهازة البلاغة كعبد القاهر الجرجاني الذي أحيا التركيب، وأخرجه من ظلمات الدلالة الصفرية إلى نور اللّمة الدالة على معاني ووظائف مختلفة، وكذا الجهيذ البلاغي والذوعي الفحل الإمام السكاكي وهو الأمر نفسه الذي سعت إليه الدراسة التداولية الحديثة من خلال جهود العالمين الفذين: أوستين وغرايس؛ حيث قصدهما من ذلك معالجة التفاعل التخاطبي بين المتكلم والسامع.

ومن هذا المنطلق نرم الإجابة على الإشكالية الآتية: ما منطلق دراسة المنهج التداولي لآلية التقديم والتأخير؟ وهل ثمة من علاقة وشيجة بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي لآلية التقديم والتأخير؟

1. التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح

- لغة: التقديم في اللغة من "قدم"؛ أي وضعه أمام غيره¹. والتأخير مقابل التقديم

قال تعالى: ﴿يَبَأُ الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة، الآية 13].

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق

قال ابن منظور: "قدم: في أسماء الله تعالى المقدم: هو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها. وقدام نقبض وراء. وقدمهم يقدمهم قدماً وقُدوماً وقديمهم، كلاهما: صار أمامهم، والقدمّة من الغنم: التي تكون أمام الغنم في الرعي.

- اصطلاحاً: هو التغيير في الترتيب الطبيعي لأجزاء الجملة؛ لغرض بلاغي كزيادة الاهتمام أو القصر أو التشويق أو لضرورة شعرية². لكنّه لا يقتصر على علم البلاغة؛ بل هو مبحث مشترك بينه وبين النحو؛ حيث نجده في الأول في علم المعاني، وفي الثاني في موضوع المسند والمسند إليه.

ونستطيع أن نعدّه متغيّراً أسلوبياً في اللّغة؛ لأنّه عدول عن القاعدة العامّة؛ وذلك بتحويل الألفاظ عن مواقعها الأصليّة لغرض يتطلّبه المقام؛ إذ يكون هذا العدول بمنزلة منبه فنّي يعمد إليه المبدع؛ لخلق صورة فنيّة متميّزة؛ فالتقديم إذاً هو تبادل في المواقع، تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحلّ محلّها كلمة أخرى لتؤدّي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤدّيه لو أنّها بقيت في مكانها الذي حُكمت به قاعدة الانضباط اللّغوي³.

وفيه يقول الزركشي: " هو أحد أساليب البلاغة؛ فإنهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق"⁴.

ومن الملحوظ أنّ مفهوم التقديم والتأخير لم يتغيّر على مرّ العصور، ماعدا في شكل الصياغة والمفردات المستحدثة؛ لكن الجوهر بقي ثابتاً. وكمثال على ذلك نأخذ التقديم عند خليل أحمد عاميرة؛ حيث يقول: " هو نقل مورفيم من موقع أصل له إلى موقع جديد مغيراً بذلك نمط الجملة، وناقلاً معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة هي عنصر من عناصر التحويل؛ بل هي من أبرز عناصر التحويل، وأكثرها وضوحاً؛ لأنّ المتكلم يعمد إلى مورفيم حقه التأخير فيقدمه أو إلى ما حقه التقديم؛ فيؤخّره طلباً لإظهار وترتيب المعاني في النفس"⁵. وهنا استبدل الكلمة أو اللفظة بمصطلح المورفيم.

إنّ التعريفات السابقة لهما منوطة بكلام العرب وبسنتهم خاصّة، أمّا إذا أردنا تعريفه من حيث هو أسلوب قرآني، فإنّه حينئذ يكون أوسع من التعريف السابق، فقد أطلق التقديم والتأخير في القرآن الكريم على القارّ في مكانه، كما أطلق على المزال⁶. وتناوله غير واحد من العلماء بالدراسة والتحليل، وأفردت له دراسات تطبيقية خاصّة بسورة واحدة من القرآن، وهذا طبيعي، فهو كلام الله المعجز، وكلما تجرنا فيه وجدنا

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق

لطائف جديدة بين ثناياه؛ فهو من أجمل الأساليب البيانية في القرآن، ومن أكثرها شيوعاً فيه، لما له من قدرة عجيبة على نقل المعاني بدقة، بفضل تركيبه المتقن.

1. مواضع التقديم والتأخير

1.1. التقديم والتأخير في الجملة الفعلية: للجملة الفعلية نمطٌ معينٌ أدركه العلماء في تركيب الجملة العربية؛ وهذا النمط يقوم على عنصرين أساسيين هما (المسند والمسند إليه) أو ما يُعرف (بالفعل والفاعل) مثل: (أنزل القرآن)، كونها يشكلان طرف الإسناد؛ لكن قد تعترض هذا النمط تحولاتٌ تلبّل تركيب الجملة المألوف؛ بحيث يكون هذا التلبّل مبنياً لغرض بلاغي، وقصدية معينة يقتضيها السياق والمقام، وليس سهلة.

وقد أشار النحاة إلى أوليّة الترتاب في الجملة الفعلية [فعل + فاعل]؛ حيث يتقدّم الفعل الفاعل وهو تراتبٌ أساسٌ ومنطقيٌّ عقليٌّ لا نبغي له حولا، وليس فيه مطّنة؛ لأنك إذا قدّمت الفاعل أضحي عندنا جملة اسمية؛ وقد صرح به ابن مالك في ألفيته: "إنّ حكم الفاعل التأخر عن رافعه وهو الفعل أو شبهه، نحو قام الزيدان، وزيد قائم غلاماه، وقام زيد، ولا يجوز تقديمه على رافعه، فلا تقول الزيدان قام، ولا زيد غلاماه قائم، ولا زيد قام، على أن يكون زيد فاعلا مقدّما؛ بل على أن يكون مبتدأ والفعل بعده رافع لضمير مستتر والتقدير زيد قام هو، وهذا ذهب البصريين، وأمّا الكوفيون فأجازوا التقديم في ذلك كله"⁷ ومن ثمّ فالأمرُ بيّنٌ عند النحاة؛ فقد بنوا قاعدتهم على قاعدة دون تعارض مسألة بمسألة، فالأمرُ بدهيٌّ مادام أنّ كلّ جملة بُدئت باسم؛ فهي جملة اسمية، وكلّ جملة بُدئت بفعل فهي فعلية، كان لزاماً تقديم ذاك الاسم على الفعل؛ يستلزم خروج نمط الجملة الفعلية نمط آخر، وهو الجملة الاسمية، فبنية الجملة الفعلية الأصلية ثابتة في مكوّنها الرئيس وهو الفعل؛ وإنّما التغيير يتمّ في ما ورد بعد الفعل سواء أتعلّق بالفاعل أم بالمتّمات/ المكملات ومادام أنّ الجملة الفعلية تقوم على الفعل وهو مسند؛ "فالأصل في الجملة التي مسنداها فعل أن يتقدّم الفعل نحو (يقدم أخوك) ولا يتقدم المسند إليه إلاّ لسبب"⁸ أمّا إذا عدلت عن الترتاب؛ فقد ولجت في باب من أبواب العدول المعنوي، وهو التقديم والتأخير "فقد دخلت في باب التقديم والتأخير ولا بدّ أنّك فعلت ذلك لسبب اقتضاه المقام، ويدخل ذلك في باب العناية، والاهتمام الذي تتعدّد أسبابه وأنواعه"⁹.

2. علاقة التقديم والتأخير بقضايا التحليل التداولي:

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق

1.2. التقديم والتأخير والقصدية/الغرض*: يعدّ التقديم والتأخير من الأفعال الإنجازية

التي سعى التحليل التداولي على تحقيقها و تبنيتها، لذا فإن قضية التقديم والتأخير من القضايا المهمة؛ كونها ارتبطت بمقصدية المتكلم والغرض الذي يريد أن يوصله للمتلقى أو السامع، ومن ثمّ فأنت سوف تتحرف عن التركيب المألوف المعروف في النمط الجملي بغية غرض معين؛ كأن تقدّم الخبر عن المبتدأ؛ فهو انحراف أو تحويل نحويّ وفي الوقت نفسه له مقصدٌ من ورائه يريد المتكلم أن يصل إليه؛ ولا غرو في ذلك فهذا هو المبتغى الذي تسعى التداولية لتحقيقه؛ لأنّها وببساطة تهدف على الاستعمال؛ فالمقاصد هي مركز التفرقة بين معنى ومعنى، من المعنى الذي يقصده المتكلم حتّى يصل إلى السامع بأحسن جودة، وبأعلى مقام؛ لذا راح علماء التداولية يعمّشون "عن الطريق التي يبحث عنها المرسل لنقل مقاصده على المرسل إليه، وذلك بكل الوسائل التعبيرية والغرضية"¹⁰.

أولاً: تعريف القصدية: من الباحثين الذين عرفوا القصدية نجد "سيرل" حيث يقول:

القصدية هي تلك الخاصية للكثير من الحالات والحوادث العقلية التي نتجّه عن طريقها إلى الأشياء وسير الأحوال في العالم أو تدور حولها أو تتعلق بها"¹¹. أي أنّ القصدية تتعلق بما يحيط بالمرء من الأشياء وما يقوم به المرء في أعماله اليومية شريطة أن تكون القصدية على نيّة، فإذا كان المتكلم بصدد الكلام لا بدّ أن يكون واعياً بما يقول وله غرض من كلامه، وإلا عدّ ضرباً من الهزيمة والتشدد.

ثانياً:قصدية التقديم والتأخير: يعدّ التقديم والتأخير آليّة من آليات التّواصل بين

المتكلم والسامع؛ فكلمًا فهم السامع للقصد المنشود من لدن المتكلم وسهولته سيرد به حينئذ إلى مرتبة الفصاحة؛ فأنت إذا قدّمت فقد راعيت حينها اعتبارات للسامع؛ لأنّ السامع قد يطلب منك ذلك لتحقيق غاية تداولية مقصودة منه.وهنا أشير إلى أنّ المتكلم لا بدّ أن يراعي قصد السامع، كما أنّه يجب مراعاة قدراته؛ حتّى يستطيع فهمه؛ لذا في بعض الأحيان نسمع من "السامع" عبارة (ماذا تقصد من كلامك؟) فهذا يدلّ على أنّه ما فقّه مقصد المتكلم؛ وربما هذا راجع لجهل السامع بقواعد وضوابط اللّغة؛ ولا أدلّ على ذلك إلاّ ما أورده ابن هشام الأنصاريّ حين قال: "وإذا قلت: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) بجزم الفعلين كنت تنهي السامع عن أكل السمك وشرب اللبن في وقت واحد، أمّا إن قلت: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) بجزم الأول ونصب الثاني؛ فإنّك حينئذ تعبر عن معنى آخر، فأنت لا تنهاه عن أكل السمك، ولا عن شرب اللبن؛ ولكن تنهاه عن الجمع بين العمليتين في وقت واحد. وإذا

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق
قلت: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) بجزم الأول ورفع الثاني؛ فإنك تنهاه عن أكل السمك،
وتجيز له شرب اللبن) ¹².

ومدار المثال الذي ضربه لنا ابن هشام دليل على المتكلم لا بد أن يختار آليات يتواصل بها مع السامع؛ وحتى يستطيع أن يتجاوز معه، كما أننا قد نجد السامع أفصح من المتكلم، ومن ثمّ وهنا سيلجأ إلى تأويلات لغوية؛ لأنه لم يعتدها في خطابه.

أضف إلى أننا نفينا السهو والتماهي في العمل، وعليه فمقصديّة التقديم والتأخير ههنا مفاده الإفراد بذلك الفعل وهو السعي لإثراء هذا البحث ومن العلماء الذين تنبهوا لتداوليّة التقديم والتأخير من خلال مقصد المتكلم السكاكي حين قال: "يجب أن يكون السامع مع وجود سعي في حاجته، وقد وقع خطأ منه في موجدة أو تفصيله فتقصد إزالة الخطأ؛ بل إذا قلته ابتداءً مفيداً أنّ وجود السعي في حاجته منك غير منسوب بتجوز أو سهو أو نسيان" ¹³.

ومن البلاغيين الذين أشاروا إلى تداوليّة التقديم والتأخير بمقصد المتكلم ابن الأثير في كتابه المشهور "المثل السائر" حيث تطرّق إلى مقصديّة التقديم والتأخير، وهو يتحدث عن تداوليّة تأخير الظرف وتقديمه في النفي حيث يقول: "وأما الثاني وهو تأخير الظرف وتقديمه في النفي".

ولعلّ الأمر الذي أشار إليه "ابن الأثير" مهمّ جداً في التحليل التداوليّ، وهو أن تفهم سامعك ممّا يقوى على فهمه؛ فأنت إذا انحرفت عن الوظيفة الإبلاغيّة، فلا مردّ لك من المقصود الذي تتشدّد أن تصل إليه؛ أضف إلى أنك ستتعب سامعك في فهم القصد، فكلماً كان الكلام محدداً وله غرض محدّد صادر من تكلم محدّد، كلما كان الكلام أنفع وأنجع للسامع، ومن ثمّ تحقيق الغرض سيكون بلا ريب محدداً؛ وهذا هو مفاد التداوليّة مراعاة قصد المتكلم والسامع؛ ولعلّ ما يدل على أهميّة القصد في التحليل التداوليّ أنّها ترجمت على شتى من المصطلحات ومن بينها "المقصديّة".

والجدير بالذكر ممّا سبق أنّ مقصديّة التقديم والتأخير المنوط بالتحليل التداوليّ وهو التبليغ ومراعاة قدرة المتكلم إبان العمليّة التواصليّة يتقاطع مع مقصديّة وغرض التقديم والتأخير الذي قمش فيه البلاغيون القدامى؛ فالنقدّم الذي لا يؤتي أكله وثمره لا فائدة ترتضى منه؛ إذ المقصود من الكلام إنّما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى؛ فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به ¹⁴.

كما يؤدّي كذلك التقديم والتأخير وظائف تداوليّة تناسب ومقاصدها؛ كقولي مثلاً: "ما جاءني طالب بل أستاذ" فالظاهر هو تقديم المفعول به على الفاعل "زيد" كما أنّ الفعل سبق
مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية جامعة محمد بوضياف . المسيلة . الجزائر.

فضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق
بنفي، وهنا تكمن تداولية هذا التقديم مع مراعاة القصد من المتكلم؛ فهو يقصد أنه بنفي
مجيء الطالب ويثبت مجيء الأستاذ فمقصدية التقديم ههنا مع النفي لها وظيفتها التداولية
وهي التقرير و التحقيق وتجريد العناية بالكلام على ما بعده أهم عند المتكلم.

ومن بداهة نحارير البلاغة تفتنوا إلى أن يفرقوا الوظيفة التداولية للتقديم والتأخير وهي
"الاختصاص/ التخصيص" فأروا أن هناك تخصيصاً بالإثبات، وتخصيصاً بالثبوت؛
فتخصيص الإثبات أن تثبت الحكم الواقع في التقديم والتأخير، أما تخصيص الثبوت؛ أي
صفة ثابتة لا تتفك عن معنى الجملة. ومن هذا يقول الشريف الجرجاني: "...وأقول المراد
تخصيص الإثبات لا تخصيص الثبوت"¹⁵ ثم عرج الشريف الجرجاني يبين تداولية هذا النوع
من التخصيص، وما يحمله من مقاصد تداولية غير محبوكة في تخصيص الثبوت إذ يقول: "
لأن التخصيص بالذكر حاصل بلا تفاوت، قدم المسند إليه أو آخر وغاية ما يقال في
توجيهه: أن الضمير لو كان مؤخرًا لاحتل حُفوف أن يكون مسندا إلى غيرهم؛ فإذا ذكر
الضمير تخصص الإثبات بهم بعد هذا التوهم. ولما قدم تخصيص الإثبات به مجردًا عن
ذلك الاحتمال؛ فكان تخصيص الإثبات قد تقوى بالتقديم وازداد به"¹⁶.

كما أتمس العلماء مقاصد تداولية أخرى للتقديم والتأخير، وهي لسيت بعيدة من
التخصيص وهو "الحصر" كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَرِينٍ﴾ [هود، الآية ٩١] فتقديم الجار
والمجرور [علينا] له أهمية عند المتكلم، بله قصد تقرير الصواب ورد خطئه، وقد بين
الشريف الجرجاني الفارق بين قصدية التخصيص والحصر بقوله: "وذلك لأن التقديم إنما
اقتضى الحصر، بناءً على ما ذكر من أن التقديم يدل على أن المخاطب قد أصاب الحكم،
وأخطأ في قيد من قيوده، فصار ذلك القيد أهم عند المتكلم فقدمه في الذكر قاصداً بذلك
تقرير صوابه ورد خطئه"¹⁷.

مما نخلص إليه في هذا الجزء أن الجملة بنوعها مهما أضيفت إليها في بنيتها
السطحية ينجلي مقصدها في البنية العميقة؛ فتداولية التقديم والتأخير تتعدّد مقاصده بتعدّد
نية المتكلم للقصد والغرض الذي يريد وروده السامع، والإبانة عما في نفسه؛ فإذا تحقق هذا؛
تحقق التفاعل التخاطبي بين الطرفين. ومن هنا يتقاطع محور الاشتراك بين الدرس البلاغي
والتحليل التداولي في ظاهرة التقديم والتأخير من حيث الهدف وهو أن البلاغة راعت الغرض
والقصد والنية بالنسبة للمتكلم لإفهام السامع والتداولية راعت القصدية؛ لكي يتم التفاعل بين
الطرفين المتلقي والمتكلم.

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق

2.2. التقديم والتأخير والاستلزام الحواري/التخاطبي: انطلق غرايس لتعريف

ظاهرة الاستلزام الحواري من أنّ اللّغة تدلّ في أغلبها على معان صريحة وأخرى ضمنيّة، تتحدّد دلالتها داخل السّياق الذي وردت فيه. هذه الظّاهرة سمّاها: الاستلزام الحواري¹⁸ أو نظريّة التخاطب.

من هذا المنطلق عرّف غرايس الاستلزام الحواري بقوله: "عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل: إنّ شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءاً ممّا تعنيه الجملة بصفة حرفيّة"¹⁹. والملحوظ من هذا التعريف أنّ المتكلم في عمليّة التخاطب قد يستلزم ويقترضي منه إتباع نمط معيّن في كلامه حتّى يستطيع أن يفهم سامعه ويفيده؛ كأن يلجأ مثلاً إلى التّقديم والتأخير في سياق معيّن؛ ذلك لأنّ المقام يقترضي منه ذلك، وبذلك تتحقّق الوظيفة التّداوليّة، ويتمّ التّواصل بين الطّرفين دون عوج وميل.

ولقد كانت نقطة بدء غرايس من "أنّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون؛ فجعل كل همّة إيضاح الاختلاف بين "ما يقال وما يقصد"²⁰. ومدار كلام غرايس أنّه يركّز على طرفي التخاطب وهما (المتكلم والسّامع)؛ أي ما يقوله وما يقصده من مآرب وأغراض. ومادام أنّ المتكلم عنده مقصدٌ يريد أن يصل إليه؛ كان عليه لزاماً أن ينتهج نمطاً معيّنًا في تخاطبه. فلا يمكن أن نتصوّر خطاباً دون وجود عنصرين مهمّين؛ "لذا لا يمكن أن ندعي فهمنا للكلام من دون استحضار شروط إنتاجه المحيطة به خاصّة عنصر المتكلم والمخاطب"²¹. والأمر نفسه صرّح به أحمد العلويّ، وهو يبيّن أهميّة المخاطب في العمليّة التّخاطبيّة؛ حيث يقول: "الكلّ يعلم أنّ الخطاب يفترض وجود مخاطب قرب المخاطب وانتباه المخاطب، وهي كلّها شروط مكانيّة زمنيّة شخصيّة يجب أن تتوافر حتّى يمكن للمواضعات المسيطرة أن تعمل"²². ولما كانت للمتكلم والمخاطب أهميّة بالغة في إنجاح العمليّة التّواصلية وتحديد الوظائف التّداولية القائمة بينهما إبان التّواصل وما يستلزم منهما راح غرايس يقسم الاستلزام إلى قسمين اثنين: استلزام عرفي واستلزام حواري/تخاطبي.

أولاً: أقسام الاستلزام:

القسم الأوّل: الاستلزام العرفي: وهو ما تعارفت عليه جماعة معيّنة من دلالات للألفاظ والعبارات؛ بحيث لا تخالف الوضع والسيّاقات التي وضعت لها؛ كأن تستلزم الابتداء بالنكرة إذا سبقت بالمسوّغات في العرف النّحويّ؛ فجعلوه حينئذ حكماً قائماً لا ينفك عن

فضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق
تراتب الجملة الاسمية؛ بحيث إذا خالفها خالفت القاعدة، ومن ثم خالفت حتى الاستعمال السياقي؛ لأنك ستزيغ إلى معنى آخر لا يبتغيه المقام.

وهنا أشير - من باب التوضيح والتلميح - بأن هذا النوع من "الاستلزام أو الاقتضاء" معروف عند علماء النحو والأصوليين خاصة؛ كأن يتعارف علماء الأصول على تسمية القرآن "بالكتاب" فأنت إن قرأت كتاباً أصولياً ووجدت لفظة "الكتاب" فهي تقتضي القرآن الكريم. أو كما يقتضي العرف النحوي في أن الفعل المضارع يعرف بأحد حروف (أنيت). وأعود وأقول: إن هذا النوع يرد في مبحث التقديم والتأخير؛ بحيث إذا سمعه سامع ووعاه حاذق لا يستطيع أن يؤول فيه؛ لأن تقديمه معروف عرفياً وحتى ثقافياً

القسم الثاني: الاستلزام الحواري/ التخاطبي: وهو جلي بين من خلال اسمه؛ أي ما يستدعيه السياق؛ ومن بعد ذلك يجوز لي أن أخرق قاعدة معينة تفرضها الظروف المحيطة بعملية التواصل بين المتكلم والمتلقي؛ وتدخل هنا آلية التقديم والتأخير؛ وهي آلية يفرضها سياق محدد، وله غرض بلاغي ومقصد تداولي. ومن هذا القسم استطاع غرايس أن يستنبط مبدأ سماه: "مبدأ التعاون".

3.2. استلزامية تخاطبية التقديم والتأخير: سأحاول بيان استلزامية التقديم

والتأخير من خلال مبدأ التعاون الذي رسمه غرايس والذي يقوم على عنصرين أساسيين في الحلقة التخاطبية [المتكلم والسامع]، وهو مبدأ حواري عام يشمل أربعة مبادئ فرعية هي: ²³

أ. مبدأ الكم: حيث يقول: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه؛ وهذا المبدأ نلمحه في ظاهرة التقديم والتأخير، وبخاصة في القرآن الكريم؛ حيث يعمد فيه إلى الإيجاز بالتقديم والتأخير، ويكون له بعدئذ وظيفة تداولية تستلزم التخصيص والحصص؛ كأن تقدم شبه الجملة من الطرف كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ

حَفِيزٌ﴾ [ق، الآية 4]. فمن خلال الآية نجد أن الطرف [عندنا] تقدم على المسند إليه [كتاب] وهو مبتدأ في الأصل وحق له التقديم وقد تأخر؛ فهذا التقديم له وظيفة تداولية وهو استلزام حصر حفظ القرآن الكريم لله عز وجل دون غيره؛ لأن هذا التقديم مرتبط بعلم الله؛ فهما كلمتان موجزتان في اللفظ عميقتان في الدلالة؛ دون زيادة أو نقصان. فالاستلزام الحواري يستدعي هذا التقديم، أضف أن الاستلزام النحوي - إن صح القول - يستدعي ذلك؛ لأننا نعرف ملياً بأنه لا يجوز الابتداء بالثكرة ما لم يفد، وإفادته لا بد أن تكون موصوفة، وها هو الشرط

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق
المستلزم قد تحقق في الآية؛ فتحقق الاستلزام الحواري مع الاستلزام التركيبي الذي يوصل
للمعنى المنشود.

ب. مبدأ المناسبة: أي: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع، وهنا أشير إلى
تداولية التقديم والتأخير؛ حيث يستلزم السياق نوعاً معيناً من التقديم والتأخير، إذ إنك لو
قدمت في غير موضع وأخرت في غير موضع، فسوف تخلّ بالمعنى، والقصد المنشود،
والمتبّع القرآن الكريم يجد هذه الاستلزامية في مناسبة التقديم والتأخير؛ ليس في الجملة فقط؛
بل حتى في المفردة؛ كتقديم [الغفور] على [الرحيم] في القرآن الكريم عدا مرة واحدة في سورة
(سبأ) فقد تقدّم [الرحيم على الغفور] فهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ هذا التقديم حسن وجميل
يستلزمه سياق معيّن؛ بحيث لا يتناقض بما قبله، ومن الذين تنبّهوا لهذه الخاصية المسبوكة،
واللمحة المكنونة، واللمسة المسكوكة ابن القيم في "بدائع الفوائد" حيث يقول: "أما تقديم
(الرحيم) على (الغفور) في موضع واحد وهو أول [سبأ] ففيه معنى غير ما ذكره يظهر لمن
تأمّل سياق أوصافه العلى، وأسمائه الحسنى في أول السورة سبأ: ﴿هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [1]
سبأ، الآية ٢] فإنّه ابتدأ سبحانه السورة بحمده الذي هو أعمّ المعارف وأوسع العلوم وهو
متضمّن لجميع صفات كماله ونعوت جلاله مستلزم له ، كما هو متضمّن لحكمته في جميع
أفعاله وأوامره؛ فهو المحمود على كلّ حالة، وعلى كلّ ما خلقه ثمّ عقب هذا الحمد بملكه
الواسع المديد فقال: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ، الآية ١] ثمّ عقبه بأنّ هذا الحمد ثابت
له في الآخرة غير منقطع أبداً فإنّه حمد يستحقّه لذاته وكمال أوصافه²⁴ والظاهر من قول
ابن الجوزية أن المناسبة تستلزم هذا التقديم وإن كان مرة واحدة كون المناسبة القرآنية
تستدعي؛ ومن ثمّ فمبدأ المناسبة من خلال الوظيفة التداولية للتقديم ظاهرة جلية في طبيعة
أي لغة؛ وبخاصة لغة القرآن الكريم؛ فحيثما استلزم التركيب لتداولية المعنى كان المعنى تاماً
والفائدة عامّة؛ فأنت لو قدّمت [الغفور] على [الرحيم] لكان معنى غير ذلك المعنى "لأنّ الملك
بلا حمد يستلزم نقصاً، والحمد بلا ملك يستلزم عجزاً، والحمد مع الملك غاية الكمال"²⁵.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ استلزاميّة التقديم والتأخير تدلّ على وظيفة تداولية وهي
الاهتمام بالفضل؛ لأنّ ذلك يناسبه، ويتناسب مع معنى الكلام؛ وقد أشار إليه الراسخون
في هذا الفنّ يقول ابن الأثير: "لأنّك إن قدّمت الأفضل؛ فهو في موضعه من التقديم، وإن
قدّمت الفضول فلأنّ مطلع الكلام يناسبه"²⁶. ومدار كلام ابن الأثير؛ أي أنّك تقدّم بقدر ما
يقتضيه السياق، وترجى من خلاله الفائدة؛ لذا استعمل (إن) ولم يستعمل (إذا) أي للتوقّع وغير

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق
محتمل؛ لأن المناسبة هي التي تجبر المتكلم أن يسلك واديا من أودية فنون الكلام؛ بحيث يفهم السامع المقصد من ذلك.

ج. مبدأ الطريقة: أي كن واضحا ومحددا؛ فتجنب الغموض، وتجنب اللبس وأوجز، ورتب كلامك ومدار كلام غرايس في هذا المبدأ، هو إفهام السامع بعبارات موجزة ومعاني جلية وألفاظ فصيحة. ومن ثم فهذا المبدأ يقوم على ربط حلقة التواصل ما بين المتكلم والسامع؛ لأنك إذا لم تلتزم بهذه الصفات: الوضوح وتجنب الغموض واللبس وعدم ترتيب كلامك بحسب ما يستلزمه المخاطب؛ فقد خرجت حينها عن مستوى الفهم والإفهام.

والمتمتع لهذه الخواص المعنوية التي استلزمها غرايس في حلقة التخاطب بين المتكلم والسامع لهي قرينة ومقاطعة مع شروط الفصاحة المعهودة في التراث البلاغي. ومن بعد ذلك فكلاهما يسعيان إلى تتبع قواعد وضوابط يفهم منها الكلام السليم من الكلام ما هو دون ذلك، ويدركه كل من المتكلم والمخاطب. وهنا تبرز تداولية التقديم والتأخير، ووظيفته الاستلزامية؛ فنحن في بعض المناسبات نستند إلى استلزامية التقديم والتأخير دونما أي شعور؛ كقولنا مثلا: "السلام عليكم" ثم يجيب المخاطب: "وعليكم السلام"؛ فنلاحظ من خلال الجملتين تقديما وتأخيرا؛ ففي الأولى تقدم المبتدأ [السلام] وتأخر الخبر الواقع شبه جملة من جار ومجرور [عليكم] وفي الثانية تقدم الخبر الواقع شبه جملة من جار ومجرور [عليكم] وتأخر المبتدأ [السلام] وقد ضربنا هذا المثال؛ لأنه متداول في كلام العادي وفي حياتنا اليومية؛ لكن دونما أن نستقرئ سببه، ونعرف علته.

أما قضية الترتيب في الكلام التي أشار إليها غرايس، فهي واضحة في ظاهرة التقديم والتأخير لما لها من أهمية بالغة في الواقع التداولي؛ كأن يقدم المتكلم ذاته من باب الوظيفة التداولية التي تفيد التخصيص؛ وقد أشار سيبيويه لهذا حين قال: "وإنما كان المخاطب أولى بأن يبدأ به من قبل أن المخاطب أقرب على المتكلم الذي هو أقرب على الغائب، فكما كان المتكلم أولى بأن يبدأ بنفسه قبل المخاطب، كان المخاطب هو أقرب من الغائب أولى بأن يبدأ به من الغائب"²⁷.

3. التقديم والتأخير في نظرية التضمن التخاطبي: قلنا: إن نظرية التضمن

التخاطبي تسعى إلى التحكم في عملية الاتصال بين المتكلم والسامع؛ مع احترام قواعد التخاطب؛ أضف أننا أشرنا إلى التضمن التخاطبي المجازي؛ هذا النوع الذي يخرج على النمطية المألوفة في التركيب، وهذا الخروج لا يرد عبثا، وإنما بغية إيصال رسالة مفهومة

فضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق
بين طرفي حلقة التخاطب؛ بحيث إذا استعمل المتكلم هذا النمط من التركيب والقواعد فهمه السامع.

ومن الآليات التي يستند إليها المتكلم حين كلامه آلية "التقديم والتأخير" وهي نمط تركيبى يزيغ عن التركيب المعروف في نمطية الجملة العربية؛ ومن بعد ذلك يأخذ هذا النمط وظيفة تداولية، فقد أشار غرايس إلى أنّ من شروط التضمين التخاطبي أن يكون المتكلم على وعي كافٍ من مقصود خطابه؛ وهذا الشرط وقع تحقيقه في آلية التقديم والتأخير؛ وذلك من الأغراض التداولية التي يحققها فأنا عندما أقول مثلاً: [احفظ الشعر يا هذا] ليس كقولي: [يا هذا احفظ الشعر] فالتقديم والتأخير الواقع في الجملة مختلف بين الأولى والثانية؛ فالمتكلم على دراية بما يقول والسامع لابد أن يكون كذلك؛ لأنّ السياق الذي وقع فيهما الخطاب بيّن واضح؛ فالأولى المقصد منها هو "الأمر بحفظ الشعر وفي الوقت نفسه أمر فيه نوع من الازدراء في طلب الفعل؛ وكأنني طلبت منه هذا الفعل مرارا فأبت نفسه بدليل أننا بدأنا بالفعل الذي يدلّ على التجدد في وقوع الفعل، عكس وتداولية التقديم والتأخير في الجملة الثانية؛ فالمتكلم قد بدأ ببدء بعده اسم إشارة؛ ومن ثمّ فالجملة فالتقديم أدى وظيفة تداولية جديدة وهي لفت الانتباه بالنسبة للسامع بأن يحفظ الشعر، أضف أنّ الجملة في سياق ندائها لم تكن في اسم علم وإنما اسم إشارة [هذا] فدّل على أنّ المتكلم قد أخذ به الكلّ بنصح هذا الشخص؛ فلم يسطع ذكر حتى اسمه.

ولكن من العجب العجاب أنّ تداولية التقديم والتأخير في نظرية التضمين التخاطبي تعطيك نفساً عميقاً وشعوراً متدفقاً في العاطفة؛ لأنها تراعي مقام السامع، وهو يدري بهذه الرفعة، وخير ما نستدلّ به قول الفرزدق حين رأى زين العابدين وهو قادم من الحجّ وسأل سائل من هذا؟ فقال أبياتا "تدل على رفعة هذا الرجل ومكانة شرفه وعلو نسبه وما دلّ على ذلك إلا [اسم الإشارة] التي سبك بها قصيدته:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا النقيّ النقيّ الطاهر العلم

إنّ هذه لهي براعة التقديم؛ لأنّ المتكلم على وعي كافٍ بقيمة هذا الرجل وبنسبه، فراح هذا التقديم يؤدّي وظيفته التداولية وهي الاهتمام بالسامع، كما أنها تبين شعور المتكلم وهو الفرزدق، وما وصفه به. وما زاده رفعة إلاّ تلك الأخبار التي تتوالى بعد اسم الإشارة [النقيّ، الطاهر، العلم]، فالشاعر راح يضمّن حتى الجمادات في معرفة هذا الرجل العظيم عظيم الصفات في قوله: "البيت تعرفه" فالخبر وقع جملة فعلية؛ حيث تقدّم فيها [المبتدأ] =

مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية جامعة محمد بوضياف . المسيلة . الجزائر.

فضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مزوق
البيت] وتأخر [الخبر = يعرفه وقع جملة فعلية] مما يدل على أن هذا المعرفة مستمرة
ومتجددة وليست حينية عارضة.

ومما تقاطعت فيه نظرية التضمين التخاطبي وتداولية التقديم والتأخير ما قد رسمه
غرايس في "دلالة المقول" حيث رأى بأن هذا النوع من الخطاب يتضمنه موجود خارج
الدّهن؛ ومن بعد ذلك فهي نسبة خارجية، وهذا النوع من التضمين قد تضمنه التقديم في
بعض صورته كتقديم المفعول به لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت، الآية ١٧] فأنت
إذا نظرت إلى هذه الآية ستجد أن المفعول به تقدم وهو [ثمود] والفعل تأخر وهو [هدى]
فيسأل السائل ما علاقة التقديم والتأخير بالتضمين التخاطبي؟ فنقول: نحن لا نستطيع أن
نفهم الوظيفة التداولية لهذا التقديم إلا إذا عرفنا ما تعلق بقوم ثمود؛ لأنّ تقديم المفعول [ثمود]
ليس لوظيفة تداولية اختصاصية، بأن الله قد هدى قوم ثمود دون غيرهم؛ بل المراد شيء
آخر، هو إثبات أصل الهداية، ثمّ الإخبار عن سوء صنيعهم، وما فعلوه من معصية، كما
أنهم ما أحبوا الهدى بل العمى، فأتاهم الله من عذابه بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ
فَأَسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: الآية ١٧]. غير أنك لو تدبرت مواضع أخرى في هذا
النوع من التقديم ستجد تضمينا تخاطبيا آخر يتناسب مع السياق الذي وردت فيه لقوله
تعالى: ﴿إِيَّايَ فَاغْبُدُونِ﴾ العنكبوت: [الآية ٥٦] فالتقديم الوارد هنا هو المفعول به [إياي] وهو
ضمير منفصل وتأخر الفعل [فأعبدون] وهي ليست كسابققتها؛ فالمولى عزّ وجلّ يخاطب
عباده المؤمنين؛ فربّ العزة أضافهم لنفسه وهي إضافة تشريف؛ "أي إن ضاق بكم موضع
فإياي فاعبدون"28.

ونجد الرّمخشريّ في الكشاف يُجليّ فناع المعنى عن "الفاء" في قوله "فاعبدون" ويبيّن
دلالة هذا التقديم؛ حيث يقول: "والتقدير: فإياي فاعبدوا: فاعبدون، فإن قلت: ما معنى الفاء في
(فاعبدون) وتقديم المفعول؟ قلت: الفاء جواب شرط محذوف؛ لأنّ المعنى: إن أرضي واسعة
فإن لم تخلصوا العبادة لي أرض فأخلصوها لي في غيرها، ثمّ حذف الشرط وعوض من
حذفه المفعول، مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص"29.

ومما نلاحظه من قول الرّمخشريّ إنّ هذا التقديم والتأخير يتضمّن قاعدة نحوية تتناسب
مع السياق الذي وردت؛ فالوظيفة التداولية لهذا التقديم تناسبت مع تركيب الجملة وهو
الشرط، كما أنّها أدت وظيفة تداولية جديدة وهي "الإخلاص" فالفاء تفيد "الإخلاص" على قول
الرّمخشريّ؛ وذلك بإخلاص العبادة لله الواحد الأحد؛ فانتقل معنى الحرف إلى وظيفة تداولية
مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية جامعة محمد بوضياف . المسيلة . الجزائر.

فضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق
جديدة تعلق بتقديم المفعول في الجملة الفعلية، وهذا هو "التضمن التخاطبي العرفي" الذي نادى به غرايس؛ كونه متعلقاً بالقواعد النحوية ويدرك بالكفاية اللغوية، أضف أنك لا بد أن تُعمل عقلك في ذلك؛ وإلا فإنك لا تستطيع أن تصل إلى المعاني المقصودة. وهذا ليس بعزيز على غرايس وحده؛ فقد أشار إليه السيد الشريف الجرجاني؛ حيث رأى بأن هذا النوع من التراكيب لا بد أن تستند إلى التأمل إذ يقول: "يعرف بالتأمل؛ وذلك لأن الكلام في أحوال متعلقات الفعل: من ذكرها وحذفها وتقديمها لا في أحوال الفعل، وأيضا كل واحد من الفاعل والمفعول، قيد للفعل دون العكس"³⁰. فالملحوظ من قول الشريف الجرجاني أن التقديم من متعلقات الفعل المهمة التي تستدعي من المتكلم التأمل وليس مجرد كلام استعمله حيثما شئت وكيفما أردت.

ولعل الشيء يريد أن يرد إليه غرايس من خلال نظرية، وهو مراعاة مقام كل من المتكلم والسامع وهنا يشترط أن يكون العقل حاضرًا من كلا الطرفين؛ لأن التقديم والتأخير يلزمك ذلك وإلا فسوف يدخل اللبس في التقديم وتصبح لا فائدة تُرتضى منه، وأضرب مثالا مهمًا "ضرب عيسى موسى" ففي هذا المثال لا أستطيع أن أعرف الفاعل من المفعول؛ فقد قال النحاة: إن في الجملة التباس بين الفاعل والمفعول؛ لأن الحركة غير بيّنة، ومن بعد ذلك نأخذ بالأولى في الرتبة.

لكن نحن نقول: إذا كان المتكلم يعرف "عيسى" ويعرف "موسى" بذاته أثناء عملية التخاطب فقد ذهب الإشكال حينئذ، ونأخذ ما هو قارٌّ في ذهن كل من المتكلم والسامع وكفى. فيصبح بعدئذ المتكلم يعرف [الضارب من المضروب] والأمر نفسه للسامع. وهذه هي "النية" التي قصدها عبد القاهر الجرجاني.

ولذلك فإن تداولية التقديم والتأخير تلزمك في بعض الأحيان أن تكون مع متكلم بليغ، وإلا فكيف يفهم السامع مقصدك، وإما أن المتكلم ليس ببليغ؛ لأن الذي يخاطبه ليس في مرتبة البلاغة، وفي هذا يقول السكاكي: "إن المتكلم إذا لم يكن بليغًا، لا يلتفت إلى ما يفهم من كلامه؛ لأنه غير مقصود له"³¹.

وقد أشار غرايس إلى هذا النوع من التواصل في العملي التخاطبية؛ حيث سمّاه "مبدأ التعاون" ويقوم على الحوار المفيد من مرتبتين متناسبتين في البلاغة؛ وأشار هنا إلى قصة عجيبة ذكرها الإبيسيهي في كتابه "المستطرف"؛ إذ روى قصة امرأة بليغة تكلمت بالقرآن الكريم أربعين عامًا؛ حيث التقى بها عبد الله بن المبارك، فدار بينها كلام عظيم؛ فكلما سألها عن

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق
مسألة إلا وأجابته بالقرآن الكريم فمن بين الأسئلة قال لها: "ألك زوج؟ قالت: ﴿أَمْوَالًا سَأَلُوا عَنْ
أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّعَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة، الآية ١٠١] فسكت³² فسكوتُ عبدُ الله بنِ المبارك
عجيب من لا يقرأ هذه القصة؛ فقد سألها بتقديم شبه الجملة والواقعة خبرًا [لك] وأخر المبتدأ
[زوج] وما قال لها [هل] بل [أ] التي تفيد التصور؛ لأنه قد سألها مسبقا وعلم وأيقن
فصاحتها وقوة بيانها؛ فلما خولته الجواب فهم فحوى الجواب؛ فسبحان الله إذا كانت المرأة
فصيحة فعبد الله أفصح؛ وذلك كيف فهم مقصدها لو لم يكن محيطا بكتاب الله.

خاتمة: تضمن هذا المقال "التقديم والتأخير بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي" هذا
المبحث العظيم الذي ارتبطت فيه نقاط مشتركة ما بين التراث والحداثة؛ أي الدرس البلاغي
والتحليل التداولي؛ وذلك كون أن البلاغة تركز على قضايا مهمة ورئيسة كالمقام ومراعاة
ظروف المتكلم، والأمر نفسه باد في قضايا التحليل التداولي؛ لأن البغية الأساس تكمن في
عنصري التفاعل التخاطبي وهما المتكلم والسامع.

من خلال هذا توصلنا إلى النتائج الآتية:

- ظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة بلاغية مفادها تحقيق أغراض بلاغية يسعى إليها
كل من المتكلم والسامع؛
- التقديم والتأخير من الآليات البلاغية التي تنصب حول مراعاة مقام الحال ومقاصد
المتكلم؛
- ظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة بلاغية نحوية تخضع لمتطلبات النظم؛ فالنظم
الجميل يلزمك أن تتبّع في كلامك تقديم جملة وتأخيرها؛
- عولجت ظاهرة التقديم والتأخير في الدرس البلاغي بغية إفادة السامع، ومراعاة
مقاصد المتكلم؛
- التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني ارتبط ارتباطا وثيقا بالنظم؛ لأنه أخرج
التركيب من بنيته السطحية لبنيته العميقة التي تدلّ على مكنونها المعنوي وما تحمله من
سرائر إعجازية؛
- التقديم والتأخير نمط من أنماط الإنجازات الفعلية لعملية التخاطب؛
- يؤدي وظائف تداولية مختلفة كالاهتمام والتشويق و الاختصاص؛
- الوظيفة التداولية للتقديم والتأخير هي بيان مقصد المتكلم؛ فإذا غاب المقصد من
التقديم والتأخير فلا جدوى ترتضى من وظيفته التداولية؛

قضايا التحليل التداولي في الدرس البلاغي العربي الأستاذ: فاتح مرزوق

- يدخل التقديم والتأخير في نظرية الاستلزام الحواري؛ أي ما يستلزمه المقام عند لجوء المتكلم إلى التقديم والتأخير؛ فإذا زاع عن هذا النمط؛ فكلامه ضرب من الهدرمة؛
- التقديم والتأخير آلية من آليات التحليل التداولي الذي يلج ضمن نظرية المقاصد؛ أي ما من متكلم إلا وله مقصد يريد أن يرد إليه؛ وهذا تقاطع مع الدرس البلاغي القديم في المقولة المشهورة: " لكلّ مقام مقال " .

- تختلف الوظائف التداولية للتقديم والتأخير بحسب المقام والسياق الذي ورد فيه؛
- التقديم في التحليل التداولي يُراعى مكتسبات السامع، فالمتكلم ليس همّه أن يتكلم، وإنما الكلام بغية الإفادة مع الإجادة، وهذا ما ركّز عليه سيرل؛ لما تكلم على الأفعال الكلامية؛

- نلمس من خلال ظاهرة التقديم والتأخير نقاط التقاطع بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي؛ فالدرس البلاغي ينطلق من غرض التقديم والتأخير للمتكلم، والتحليل التداولي ينطلق من المقصدية للتقديم والتأخير للمتكلم.

المصادر والمراجع

- 1 - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 1986، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج 2، ص325
- 2 - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، م1، ص1785 .
- 3 - هناء محمود شهاب، أثر الترجمة في أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم (اللغة الإنجليزية أنموذجاً)، العدد 02، 2010، مجلة التربية والعلم، م17، ص143 .
- 4 - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث ج3، ص233 .
- 5 - هناء محمود شهاب، أثر الترجمة في أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم (اللغة الإنجليزية أنموذجاً)، ص144 .
- 6 - خالد بن محمد بن إبراهيم العثيم، الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة (دراسة تطبيقية)، رسالة ماجستير ص37.
- 7 - ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1، ص222-223
- 8 - صالح فاضل السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ط2. الأردن: 2007، دار الفكر، ص34.
- 9- نفسه، ص34.

* - إن مصطلح "الغرض" معروف في الدرس البلاغي، وبخاصة في علم المعاني؛ وذلك حينما نستخرج أسلوباً إنشائياً نطرح سؤالاً: "ما الغرض من هذا الأسلوب؟ فالمتكلم إذا استعمل أسلوباً خبرياً مثلاً، فهو

- يقصد تقريرا أو توكيدا من كلامه، وهو مصطلح عربي محض يعرف بـ: "الأغراض البلاغية"، وهو يتقاطع مع مصطلح " المقصد/ القصدية " الذي يعدّ قضية من قضايا التحليل التداولي؛ وقد جمعتها معا بغية التوضيح.
- 10 - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1. المغرب، المركز الثقافي العربي، ص190.
- 11 - صلاح إسماعيل، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، القاهرة-مصر: 2007، دار قباء الحديثة، ص169.
- * - القضية المهمة من قول ابن هشام: هو التركيز على السامع بإفادته الغرض والمقصد المنشود، فقوله: " تنهاه" إنما هو غرض بلاغي، يريد أن يرد إليه المتكلم، وفي الوقت ذاته لا بدّ أن يفهم السامع كلام المتكلم، لأنه إذا لم يفهم قول المتكلم فلا فائدة ترتجى من عملية التخاطب. والحركة الإعرابية التي يستعملها المتكلم هي التي تحدّد هذا الغرض، وعليه؛ فالسامع ليس بمعزل عن فهم معاني هذه الحركات.
- 12 - ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ص212 .
- 13 - السكاكي، مفتاح العلوم، ص238.
- 14 - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص222.
- 15 - السيد الشريف الجرجاني، الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، ص146.
- 16 - نفسه، ص146.
- 17 - نفسه، ص147.
- 18 - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص33.
- 19 - صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، القاهرة: 2005، الدار المصرية السعودية، ص78.
- 20 - المرأة الصالحة، الاستلزام الحوارية في التعبيرات المنضمّة على الآيات القرآنية دراسة تحليلية وصفية تداولية، بحث جامعي 2009، رقم القيد، 153100110، ص32.
- 21 - مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيوييه، العدد1، م33، سبتمبر، مجلة عالم الفكر، 2001، ص261.
- 22 - نفسه، ص261.
- 23 - مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيوييه، ص33-34-35.
- 24 - ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد عمران، م1، جدة، دار عالم الفوائد، ص138.
- 25 - نفسه، م1، ص137.
- 26 - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص226.
- 27 - مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيوييه، ص265.
- 28 - محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ط7. بيروت: 1999، دار ابن كثير، م7، ص17.

- 29 - جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1. الرياض: 1998، مكتبة العبيكان، ج4، ص 558 .
- 30 - السيد الشريف الجرجاني، الحاشية على المطول، ص 227.
- 31 - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 332.
- 32 - شهاب الدين محمد الأبيهي، مختارات من المستطرف في كل فن مستظرف، تح: ناصر عبد الفتاح، مصر: 2005، مكتبة مصر، ص 56.